مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الثامن عشر- محرم 1447هـ- يوليو 2025م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

كلمة العدد

يكتبها رئيس التحرير أ.د. محمد علي هارب جبران

الذاكرة والهوية

الحمد لله الذي شرّف الإنسان بالعقل والبيان، وفضّله بالهداية والإيمان، وربطه في وجوده بالذاكرة، وفي انتمائه بالهوية، فكان الدين صبغته، والتاريخ مداده، والقيم زاده، واللغة وعاء وعيه، والماضي جسره نحو المستقبل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، معلم البشرية، ومربي الأجيال، الذي أقام دعائم الهوية على الوحي، وربط الذاكرة بالرسالة، فكانت سيرته منارة للأمم، وذكراه هوية للأتباع، وسنته حافظة لملامح الأمة عبر الزمان، أما بعد،،،،،،،

فإن الحديث عن الذاكرة والهوية ليس ترفًا فكريًا ولا ترديدًا نظريًا، بل هو مبحث مصيري يمس جوهر الكينونة البشرية، ويحدد مصير الأفراد والمجتمعات في خضم عالم متغير مضطرب، باتت فيه محاولات استلاب الإنسان من داخله أكثر فتكًا من الحروب العسكرية والغزوات التقليدية، وفي عالم تتنازعه العولمة الثقافية، وتحاول فيه أنماط التغريب والعلمنة أن تسلخ المسلم من هويته الحضارية، وتعيد تشكيل وعيه وقيمه، يصبح من الضروري أن نُعيد الحديث – بوعي عميق – عن الذاكرة بوصفها مستودع الكينونة، وعن الهوية بوصفها إطار الانتماء وميزان التوازن. بوصفهما جوهرًا وجوديًا للإنسان، وأساسًا في البناء الحضاري، ومفتاحًا لفهم الذات في علاقتها بالله، وبالزمان، وبالإنسان.

الهوية الإسلامية... جوهر الإنسان وصمّام توازنه:

ليست الهوية الإسلامية مجرد بطاقة تعريف ثقافية أو إرث حضاري من الماضي، بل هي صبغة الله التي فطر الناس عليها، كما في قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾[البقرة:138]، وهي التي تُكسب الإنسان ثباتًا في المبادئ، ووضوحًا في الانتماء، ومناعة ضد التيه الحضاري والاغتراب الثقافي، وفي زمن تتكاثر فيه الدعوات إلى التمرد على الثوابت الدينية، والانخلاع عن الجذور العقدية والأخلاقية، تبرز الهوية الإسلامية كحائط صدّ متين يحمي الأفراد والمجتمعات من الذوبان في مستنقعات اللامعنى.

فالهوية ليست أمرًا هامشيًا، بل هي العمود الفقري الذي تتماسك به النفس وتستقر، وهي منطلق كل فعل حضاري، وبوصلة لكل مشروع إنساني، وعندما يفقد الإنسان هويته، يصبح فريسة سهلة للتبعية

والتقليد والانقياد بلا وعي، وقد نبّه كثير من العلماء والمفكرين إلى أن أخطر ما يواجه الأمة الإسلامية اليوم ليس الاحتلال العسكري، بل الاحتلال الثقافي والفكري، الذي يُنتج أجيالاً تنكر ذاتها، وتستحي من دينها، وتشكك في تراثها، وتتبنّى رؤى الآخر تحت عناوين الحداثة والانفتاح والتطور.

وقد تكون محاولات طمس الهوية خفية، لا تُعلن عن نفسها، بل تتسلل من خلال التعليم، والإعلام، والفنون، ومناهج التربية، وتُزيَّن بلبوس التحضّر وحقوق الإنسان والحرية، ولذا فإن أخطر ما يواجه المجتمعات الإسلامية اليوم هو الاستسلام غير الواعي لهذه الموجات الجارفة من التغريب، التي تصوّر للناس أن التقدم لا يتحقق إلا بالقطيعة مع الدين، وأن الحرية لا تكتمل إلا بالتمرد على الشريعة.

وفي مواجهة هذه الهجمة الناعمة، تبرز الحاجة إلى موقف وعيّ، يستند إلى الإيمان بالحق، ويُعيد تعريف الهوية بوصفها التزامًا بالعقيدة، ووفاء للرسالة، وصدقًا في الانتماء، ولا بد من التذكير أن الدفاع عن الهوية لا يعني الانغلاق أو التوجس من الآخر، بل هو وعي بالذات، وثقة بالحق، واعتزاز بالرسالة. فالمسلم المنفتح على العالم هو من يُصدر القيم، لا من يذوب فيها، وهو من يُحاور بثقة، لا من يُساوم على ثوابته، وكما قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نبتغي العز بغيره»[1]، لذلك فإن المواقف المطلوبة في هذا السياق هي:

أولًا: التأسيس العقدي والشرعي للهوية في المناهج التعليمية والخطاب الدعوي والإعلامي.

ثانيًا: بثّ روح الفخر بالانتماء والاعتزاز بالإسلام، وتقديم النماذج المشرفة من تاريخ الأمة في التربية.

ثالثًا: مواجهة خطابات التشكيك والتمرد على الدين بالحكمة والعلم والحجة، مع تفنيد شبهاتهم بلغة العصر.

رابعًا: دعم المبادرات الثقافية والفكرية والفنية التي تعزز الانتماء وتحفظ الذاكرة.

خامسًا: تعزيز التواصل بين الأجيال لاستمرار الرواية الحضارية، وحماية معالم الهوية من التآكل بفعل الزمن والضغط الحضاري.

[1] المستدرك على الصحيحين، للحاكم(130/1).

إننا اليوم بحاجة ماسة إلى يقظة شاملة تعيد للأمة وعيها بهويتها، وتربطها بدينها، وتذكّرها بماضيها المجيد لا لتتغنّى به، بل لتستمد منه العزم على البناء والتجديد، وتصوغ من ثوابتها طريقًا للنهضة.

الذاكرة... وعاء التجربة ومنصة الانطلاق:

إذا كانت الهوية تمثل الانتماء، فإن الذاكرة تمثل الاستمرارية، والذاكرة البشرية ليست لكونها مجرد خزّان معلومات أو أرشيف حوادث، بل هي الوعاء الحيوي الذي يحفظ فيه الإنسان معناه، ويستبطن عبره مسيرته، ويستعيد من خلاله تجاربه ليبني عليها ما يستقبل من حياته، إنها الخيط الناظم بين الماضي والحاضر، والجسر المعرفي الذي تعبر عليه الأمم من جذورها إلى آفاقها.

الذاكرة في بعدها الفردي: تحفظ للإنسان ذاته من التبعثر، وتُعيد له قدرته على فهم نفسه وتاريخه الشخصي، كما أنها تُحصّنه من الذوبان في الحاضر السائل.

أما الذاكرة الجماعية: فهي الذاكرة التي تحفظ للأمة هويتها وتاريخها، وتبقي على ملامح شخصيتها الحضارية في وجه محاولات المحو والتشويه والتغريب، فهي الذاكرة التي تتناقلها الأجيال بالوعي والتربية والتعليم، لا بالحفظ الجامد، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا البعد التأصيلي حين أمر بالتذكير المستمر بالتاريخ والنعم والمواقف، فقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: 5]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: 103]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: 86]، لأن نسيان الماضي يُفضي إلى انقطاع الحاضر، ويُضعف بناء المستقبل.

إن المجتمعات التي تفقد ذاكرتها هي أشبه بجسد بلا جهاز مناعة، أو شجرة مقطوعة الجذور، والنماذج التاريخية كثيرة، حيث أدى الانقطاع عن الذاكرة إلى فقدان الشعوب لتوازنها، وتحوّلها إلى أدوات بيد المستعمر أو الغازي الثقافي، ومما يُفاقم أزمة الذاكرة في العصر الحديث:

- هيمنة وسائل الإعلام السطحية ومحتوى الترفيه المفرغ.
- غياب التوثيق الرصين للتجارب الوطنية والدينية.
- تراجع دور الأسرة والمؤسسة التعليمية في رواية التاريخ.
- سيطرة السرديات الغربية في الثقافة والأدب والتعليم.

ولمواجهة ذلك، لابد من إعادة إنتاج الذاكرة وفق رؤية نقدية بنّاءة، لا تقف عند تمجيد الماضي، بل تتجاوزه إلى تحليله، وفهم دروسه، وتوظيفه لبناء المستقبل. فالذاكرة ليست استنساخًا، وإنما استيعابًا

وتطويرًا. وقد قيل: "من لا ذاكرة له لا مستقبل له"، فكيف بمن يُسلِم ذاكرته لمحتل فكري، أو يفرّط بها باسم التقدم؟

الذاكرة الجماعية للأمة الإسلامية – حين تكون حية – تمنحها المناعة الذاتية ضد حملات التشويه، وتعيدها دومًا إلى مرجعياتها الكبرى: الوحي، والسنة، وسيرة السلف، وتجارب النهوض. ولهذا السبب، كان المستعمر يحرص دائمًا على طمس ذاكرة الشعوب، لأن التحكم في الذاكرة يساوي التحكم في الوعي، والتحكم في الوعي يمهد للتحكم في القرار.

ومن هنا، فإن أحد أكبر التحديات اليوم هو: كيف نُعيد ربط الأجيال الجديدة بذاكرتهم الحضارية دون أن نسجنهم في الماضي! وكيف نُقدّم التاريخ الإسلامي لا بوصفها قصص حنين، بل بوصفها خريطة دروس للمستقبل!

وهذا لا يكون إلا بالآتي:

- ربط مناهج التعليم بالتاريخ القرآني والإسلامي المؤصل.
- إنشاء مؤسسات بحثية لتوثيق التجارب المعاصرة للأمة.
- تعزيز أدب السيرة والتاريخ في الفنون والدراما والإعلام.
- تشجيع مشاريع الرواية الذاتية والتوثيق المحلي.
- دعم الحوار بين الأجيال لنقل الذاكرة عبر التجربة؛ لا التلقين.

إن استعادة الذاكرة لا تعني فقط أن نحفظ ما جرى، بل أن نمتلك الوعي بكيفية قراءته، وأن نحول الألم إلى وعي، والهزيمة إلى درس، والانتصار إلى دافع، والسير إلى وعي بأقدار الأمم وسنن التحول، وهنا تتجلى أهمية المزاوجة بين الذاكرة والوعي التاريخي، لا الذاكرة الانفعالية فقط، فإذا كانت التجربة هي معلم الإنسان، فإن الذاكرة هي سجل تلك الدروس، ومصدر استيعابها.

تكامل الذاكرة والهوية، ودور المؤسسات الأكاديمية في صونهما:

الحديث عن الذاكرة دون الهوية هو فصل بين وعاء المحتوى ومضمونه، كما أن تناول الهوية دون التأسيس على الذاكرة يُفضي إلى انتماءٍ بلا جذر، ووعيٍ بلا سياق، فالعلاقة بين الذاكرة والهوية علاقة تكامل

عضوي: الذاكرة تمد الهوية بالمادة الحيوية من التجارب، والقيم، والسرديات، بينما تعمل الهوية على تنظيم تلك الذاكرة، واختيار ما يلزم منها في صياغة الحاضر واستشراف المستقبل.

إن أزمة الإنسان المعاصر – في بعدها الإسلامي – ليست فقط أزمة هوية مغتربة، بل أيضًا ذاكرة مستلبة. والنتيجة المباشرة لذلك هي ظهور أجيال مبتورة الصلة بجذورها، مشوشة في وعيها، منفتحة انفتاحًا غير منضبط، فاقدة للمناعة الحضارية.

من هنا تبرز أهمية المؤسسات الأكاديمية والتعليمية، فهي اليوم ليست فقط منصات نقل معرفة، بل ساحات لإعادة تشكيل الوعي، وبناء المفاهيم، وتوجيه الانتماء، والمؤسسة الأكاديمية التي لا تعي دورها في حفظ الهوية وصيانة الذاكرة، قد تتحول – من حيث لا تدري – إلى أداة في خدمة التغريب أو التمييع أو التنميط، ولذا فإن واجب المؤسسات الأكاديمية في هذا الإطار يتجلى في:

- توطين العلوم والمعارف داخل الإطار الحضاري الإسلامي.
- إعادة قراءة التراث الإسلامي والفكر برؤية نقدية بنّاءة دون تنكر أو تقديس مفرط.
- إدماج مساقات الهوية والذاكرة في مناهج التعليم، لا كملاحق بل كمسارات رئيسة.
- تشجيع الأبحاث العلمية التي تحيي الموروث وتُفعّل دوره في فهم الواقع.
- تعزيز الشراكة بين الجامعات والمجتمع المدني في حمل رسائل الوعي والانتماء.

كما أن التعليم في ذاته ليس عملية محايدة، بل هو مشروع تشكيل وتوجيه، وقد كان أول ما نزل من الوحي: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: 1]، وهي دعوة للعلم من منطلق الارتباط بالخالق، أي من داخل منظومة الهوية، لا من خارجها، وحين يصبح التعليم مفصولًا عن مقومات الهوية، فإنه يتحول إلى أداة استلاب بدل أن يكون وسيلة بناء.

إننا اليوم بحاجة إلى منظومة تعليمية تصنع الوعي لا تُقلده، وتُنشئ الذاكرة لا تُمحيها، وتُنمّي الهوية لا تُمزقها، وهذه مهمة تحتاج إلى إرادة صادقة، وتخطيط واعٍ، ورؤية حضارية، وتكامل بين العلماء والمربين والمثقفين، وضرورة الانطلاق من الهوية الإسلامية في بناء الإنسان.

وانطلاقا من أهمية المؤسسات الأكاديمية والتعليمية، في تشكيل الوعي، وبناء المفاهيم، وتوجيه الانتماء أقول لقد آلت مجلة جامعة المهرة للعلوم الإنسانية، منذ نشأتها، على نفسها أن تكون منبرًا للفكر الرصين،

وجسرًا للتواصل الأكاديمي، ووعاءً معرفيًا ينبض بروح الانتماء ويُعبّر عن قضايا الإنسان والمجتمع من منظور علمي متين، وحضاري أصيل، وها نحن في عددها الثامن عشر، وسنتها السادسة في حلتها العلمية الأكاديمية المحكمة نؤكد استمرار التزامنا الفكري والمنهجي الرصين، ونعزز حضور المجلة بوصفها صوتًا من أصوات الوعي في زمن تداخلت فيه الأصوات وتشابكت فيه الرسائل، ومنبراً يعزز المؤسسات الأكاديمية والتعليمية في أداء رسالتها والقيام بمهمتها، وعند الغوص في مضمون ومحتوى هذا العدد نجد أنه ثري ببحوثه، متنوع في موضوعاته، متماسك في رؤيته العامة، فإلى جانب هذه الافتتاحية التي بينت أهمية ودور الهوية والذاكرة، تضمّن العدد دراسات علمية تناولت قضايا معاصرة تمس الواقع العربي والإسلامي، وتكشف جوانب من الظواهر الاجتماعية والتربوية واللغوية والفكرية التي تسهم في بلورة الوعي وبناء الشخصية، فبعض الدراسات ناقشت قضايا الخصوصية الفردية في ظل الثورة التقنية، مما يُلفت النظر إلى التحديات الأخلاقية والثقافية التي تواجه الهوية في الفضاء الرقمي.

ودراسات أخرى تناولت الأبعاد البلاغية والسياقية للنصوص القرآنية، مؤكدة أن التفاعل مع النص القرآني ليس فقط فعل تدبّر، بل هو بناء لغوي وهوياتي متجدد، يكشف أن في كل قراءة تفعيلًا لمعاني الذاكرة وسؤالًا للهوية، كما تضمّن العدد دراسات تراثية قاربت التجارب النقدية والبلاغية والأدبية عند بعض أعلام الثقافة الإسلامية، مما يدل على حيوية الذاكرة الثقافية للأمة، وقدرتها على إلهام الحاضر ومساءلة الحاضر بعيون منبثقة من الذات لا مبهورة بالآخر.

ومن الدراسات ما انشغل بمفاهيم السياسة الشرعية، ومجالات الإصلاح والتقويم، والتربية والتعليم، في محاولة لاستدعاء نماذج فكرية إسلامية رصينة، تعكس في جوهرها المبدأ الإسلامي في التوازن بين الثابت والمتغير، وتُجلي دور الهوية في صياغة القرارات الكبرى للأمة.

وهناك دراسات سلطت الضوء على المهارات اللغوية والاستماع والنقد الثقافي والنص الموازي، مما يُشير إلى الحضور الثقافي للذاكرة في كل ما ننتجه من معرفة، لأن اللغة ليست مجرد أداة تعبير، بل هي حامل للذاكرة الجماعية، وحارس للهوية الثقافية.

هذا التنوع في الأبحاث يُعبّر عن رسالة المجلة في ربط المعرفة بقضايا الأمة، وفي توجيه البحث العلمي ليكون خادمًا للإنسان، مدافعًا عن هويته، مستنهضًا لذاكرته، ومبنيًا على أسس علمية دقيقة دون انفصال عن البعد الرسالي الذي يجب أن يكون روح كل إنتاج معرفي، هذا المحتوى وهذا الإنجاز يدفعني أن نُثمّن

الجهود التي بُذلت من قبل هيئة التحرير، والمراجعين، والباحثين، وكل من أسهم في إخراج هذا العدد إلى النور مؤكدين أن هذا العمل الأكاديمي لا يمكن فصله عن رسالة الجامعة، التي تسعى – في رؤيتها ورسالتها – إلى ترسيخ القيم الإسلامية، وبناء الإنسان المعرفي المتمسك بهويته، والمرتبط بذاكرته، والمشارك في صناعة واقعه بوعي وفاعلية.

إن الجامعات ليست مؤسسات تعليمية فحسب، بل هي حواضن للهوية، وصروح لحفظ الذاكرة، ومنارات للوعي الحضاري، وهذا ما نُجدد التأكيد عليه من خلال هذا العدد، الذي نأمل أن يكون لبنة أخرى في صرح الوعي، ومساهمة علمية في مسار بناء الأمة.

ولذا أدعو إلى ذاكرة منفتحة تستلهم الماضي بعين مبصرة فاحصة، وأدعو إلى التمسك بالهوية الإسلامية لتعميق الثوابت، واستلهام المتغيرات للانفتاح على العصر دون ذوبان، واستحضار التاريخ لا لتكريس الحنين، بل لبناء المستقبل، نكرر دعوتنا في هيئة تحرير المجلة للعلماء والباحثين لدوام التواصل مع المجلة، ونبشرهم بأن المجلة دخلت في جميع المستوعبات العالمية للعلوم الإنسانية باللغة العربية المرموقة، نظرًا لالتزامها بالضوابط العلمية الدقيقة، والمنهجية الصارمة، وحرصها على نشر البحوث الرصينة التي تعالج قضايا الأمة من منظور علمي عميق وجاد، ولا شك أن في هذا الإنجاز حافزًا لمزيد من العطاء والتجويد، ودعوة مفتوحة لكل الباحثين المتميزين للمساهمة في رفد المجلة بنتاجهم العلمي، لتظل منبرًا رائدًا في خدمة الفكر والمعرفة والهوية.

نسأل الله التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.